د. منصـور رحمـــاني

واقع الموهبة في ظل التقويم المدرسي بين الصقل والقتل

الموهبة عطية إلهية تمكن صاحبها من الإلمام ببعض الأمور إلماما يفوق معدل ما عند الآخرين ، حيث يولد الطفل مزودا بها ، ولا يخلو مجتمع من هذه المواهب ، فهي موجودة في كل زمان وفي كل مكان ، وعند الكثير من الأطفال ، وقد يكون للفرد الواحد مجموعة من المواهب ، غير أن هذه المواهب تتأثر بالوسط الذي تظهر فيه ، مثل النبات الذي يختلف وضعه من بيئة إلى أخرى ، فهناك عوامل تصقل هذه المواهب وتتعهدها بالرعاية والعناية ، لتتحول إلى مهارة بعد ذلك في أي مجال من المجالات ، كما أن هناك عوامل تقتل هذه المواهب ، فيعتقد الكثير من قاصري النظر أن المجتمع عندهم لم يُرزق بمواهب ، والواقع أن العطاء الإلهي في عمومه يتسم بالعدل ، لقوله تعالى (**كلاَّ نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا**)*.

إن ما يمنحه الخالق من المواهب لا يختلف في المجتمعات المتقدمة عما عليه الحال في المجتمعات المتخلفة ، ولا يختلف بين الفقراء والأغنياء ، ولا بين المتعلمين والأميين، وحقيقة الأمر هو كما قال أنطوان دي سانت اكزوبري أحد ألمع كتاب فرنسا في القرن العشرين حين قال:' في داخل كل منا موزار مقتولا..'*.

فالذي يصنع الفروق بين هؤلاء وهؤلاء هو كيفية التعامل مع المواهب ، ابتداء من الكشف عنها وصولا إلى تطويرها وتنميتها وتوجيهها ، فالكثير من المواهب تولد وتموت دون أن يحس بها أحد ، ومواهب أخرى ، تُعرف ولكن يتم اغتيالها بسوء التوجيه والإقصاء والتهميش.

إن الموهوبين يحتاجون إلى موهوب مثلهم يتحدى قدراتهم وإمكاناتهم ، بارع في إيجاد الوسائل والمصادر التي تلبي رغباتهم قادر على التعامل السريع والمرن في تلبية حاجاتهم ، قادر على تشجيع وإنماء هذه الموهبة مدرك لخصائصهم وسماتهم.

إن المرحلة الحاسمة في التعامل مع المواهب هي مرحلة المدرسة التي أصبحت تستولي على زهرة العمر ، وفيها تتقرر شخصية الفرد وميولاته ، إنها تستهلك من الفرد أزهى مراحل عمره ، ومن فاته الاستغلال الأمثل لها ، فلا يطمع في غيرها ، وقديما قالوا : التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ، وقال الشاعر :

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

ولذلك فإن قتل المواهب وصقلها يتم في هذه المرحلة بالذات ، وتساءلت منذ زمن ولا زلت ما الذي يجعل عدد الموهوبين في الدول المتقدمة يزداد عاما بعد عام بينما في مجتمعاتنا المتخلفة يتقلص عاما بعد عام ؟

من هو الموهوب ؟

للموهبة مجال واسع تدخل في مفهومها درجات متفاوتة من الذكاء والتميز ، حيث يعتبر الكثير من الناس موهوبين مع وجود التفاوت الواضح بينهم في القدرات ، وتحدد بعض اختبارات الذكاء درجة الذكاء كالآتي :

1 – ذكي : إذا جمع 115 فما فوق من 160 ، وهؤلاء نجد مهم 1 بين كل 6 .
2 – موهوب نوعا ما : إذا جمع 130 فما فوق وهؤلاء نجد منهم 1 بين كل 50 .
3 – موهوب جدا إذا جمع 145 فما فوق ، وهؤلاء نجد منهم 1 بين كل 1000 .
4 – موهوب بشكل استثنائي إذا جمع 160 فما فوق وهؤلاء نجد منهم 1 بين كل 30000[1] . واختبارات قياس الذكاء متعددة ومتنوعة ، وبناء على ذلك اختلفت تعريفات المربين للشخص الموهوب ، ومن تلك التعريفات نذكر ما يلي :

أ – **تعريف ويثي** / والذي تبنته الرابطة الأمريكية للأطفال الموهوبين حيث يعرف الموهوبون بأنهم أولئك الأفراد الذين يكون أداؤهم عالياً بدرجة ملحوظة بصفة دائمة.

ب – تعريف مير لاند/ عام 1972 م الذي تبناه مكتب وزارة التربية والتعليم الأمريكية حيث يقول عن الموهوبين أن هؤلاء الأطفال الذين يملكون قدرات وامكانيات غير عادية تبدو في أداءاتهم العالية المتميزة والذي يتم تحديدهم من خلال خبراء

---

[1] - عدد 602 السنة 2008 -ليلى صالح محمود – اختلاف المهارات والمواهب عند البشر- مجلة العربي ص151

متخصصين مؤهلين ومتمرسين وممن لا تخدمهم مناهج المدارس العادية وبحاجة إلى برامج متخصصة ليتمكنوا من خدمة أنفسهم ومجتمعهم . وتشمل مجالات الأداء العالي المتميز (مجالات الموهبة) واحدا أو أكثر من المجالات التالية:

1 – القدرات العقلية العامة : المعلومات العامة _ القدرة اللغوية – القدرة على الاستدلال....

2 – القدرة الأكاديمية المتخصصة : قدرات عالية في اختبارات التحصيل الدراسي في الرياضيات أو اللغة.

3 – القدرة القيادية : القدرة على حل المشكلات ارتفاع مستوى الثقة بالنفس وتحمل المسؤوليات والتعاون الميل للسيطرة القدرة على التفاوض القدرة على توجيه الآخرين وسياستهم

4 – القدرة الإبداعية والابتكارية : وهي القدرة على إنتاج العديد من الأفكار الجيدة أو تجميع العناصر التي تبدو متنافرة .

5 – المهارات الفنية أو الأدائية : وتشمل هذه المواهب الخاصة في مختلف الفنون كالرسم والأدب والخطابة والشعر الخ .....

6 – القدرات نفس حركية : وتشمل الاستخدام الماهر للقدرات النفس حركية أو المهارات المكانية أو الجسمية.

وأما التعريف الذي قُدم من قبل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية عام 1418 هـ ثم تم اعتماده من قبل وزارة التربية والتعليم في المملكة بموجب قرار وزاري رقم 877 في 1418/5/6هـ فيعرف الموهوبين بأنهم الطلاب الذين يوجد لديهم استعدادات وقدرات غير عادية أو أداء متميز عن بقية أقرانهم في مجال أو أكثر من المجالات التي يقدرها المجتمع وبخاصة في مجالات التفوق العقلي والتفكير الابتكاري والتحصيل العلمي والمهارات والقدرات الخاصة ويحتاجون إلى رعاية تعليمية خاصة لا تتوافق لهم بشكل متكامل في برامج الدراسة العادية[2] .

ويعرف الأستاذ سعيد حسني الفرد الموهوب بقوله : هو ذلك الفرد الذي يظهر أداء متميزا مقارنة مع المجموعة العمرية التي ينتمي إليها في واحدة أو أكثر من الأبعاد التالية :

– قدرة عقلية عالية تزيد عن المتوسط بانحراف معياري واحد أو انحرافين معياريين – قدرة على التحصيل الأكاديمي – قدرة على القيام بمهارات متميزة – قدرة على القيام بمواهب متميزة في مجال الفنون أو الرياضة أو اللغة [3]. وبذلك يمكننا القول أن الموهوب شخص غير عادي مختلف عن أقرانه ومتقدم عنهم في الفهم وفي أمور أخرى ، وبالتالي فيمكن اعتباره من ذوي الاحتياجات الخاصة هو الآخر مثل الناقص عن العادي .

---

[2] - http://www.moudir.com/vb/showthread.php?s

[3] - سعيد حسني العزة – تربية الموهوبين والمتفوقين – دار الثقافة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2000ص46

ولقد عرفت المجتمعات القديمة والحديثة عددا هائلا من الموهوبين خارقي العادة في الفهم أو الحفظ أو الاستنباط أو حضور البديهة ، في مجالات متعددة ومتنوعة ، فهناك أدمغة كانت مصممة لأن تبدع السمفونيات والسونيتات (قصائد من 14 بيتا) ، بينما تلاءمت أدمغة أخرى مع صنع الجسور ، والطرق العريضة والكومبيوترات ، أو تصميم الطائرات وأنظمة الطرق ، أو قيادة الشاحنات وسيارات الأجرة ، أو البحث عن شفاء لسرطان الثدي أو ارتفاع التوتر الشرياني[4] .

لقد أثمرت لنا تلك المواهب كثيرا من الفضل الذي نعيش فيه ، فالشعراء المتميزون ، والأطباء البارعون ، والفلاسفة المرموقون ، والصناع المهرة ، والقواد المشهورون كلهم من ذوي المواهب التي ساعدتها ظروفها على النمو والإنتاج .

علاقة المدرسة بالتقدم

لم يكن القصد من هذا العنوان البرهنة على أن التقدم مرهون بالمدرسة فذلك أمر ظاهر للعيان ، وإنما كان الهدف هو بيان أن قيمة المدرسة يكون ببرامجها لا بأعدادها ، وأن الدول التي تدرك قيمة المدرسة كمنتج للطاقة الرمادية ، تجعلها في قمة الاهتمامات ، أقول هذا بعد أن سمعت أحد المسؤولين يقول يوما بأن المدرسة قطاع غير منتج ، بينما وقع في أمريكا غذاة تخلفها عن الروس في الصعود إلى القمر ، أن أعلنت حالة الطوارىء على مستوى المدرسة ، وجاء الأمر بضرورة مراجعة المقررات المدرسية ، والأمر ذاته وقع في إيران غذاة انتصار الثورة الإسلامية عام 1979 حيث بادر الخميني في شهر إبريل 1980م إلى تحقيق هذه الغاية حينما أصدر مرسوماً رسمياً يدعو إلى تشكيل مجلس للثورة الثقافية .وقد حدد الخميني طبيعة ومهام ومضمون وتوجه هذه الثورة المنشودة في عبارات المرسوم على النحو التالي:

«تمحيص جميع البرامج والمشكلات التعليمية، وصياغة استراتيجيات وسياسات تعليمية على أسس ثقافية إسلامية، وإعداد مناهج علمية في جميع جوانب الدراسة تعتمد على متطلبات واحتياجات المجتمع، وتدريب واختيار هيئة التدريس المؤهلة والملتزمة بقضية الثورة» .

ولنقل هذا الأفكار من حيز النظرية إلى أرض الواقع اختار الخميني «هيئة من خبراء التعليم الإسلامي» للإشراف على تجسيد الخطة التي حدد معالمها في المرسوم المذكور، وقد قامت هذه الهيئة، التي أطلق عليها اسم «المجلس الأعلى للثورة الثقافية» على الفور بإجراء إصلاحات هائلة، مازالت مستمرة حتى يومنا هذا في النظام التعليمي[5]. وفي سبيل تحقيق الإصلاح المنشود توقفت المدرسة الإيرانية لمدة أربع سنوات ، قُضيت كلها في المشاورات والدراسات ، والتكوين ، وتم خلال السنوات الخمس الأولى من عمر الجمهورية تأليف 200 كتاب جديد لطلاب المدارس

[4] - د. مل لقين – لكل عقل موهبة – تعريب د. سامر عبد المحسن أيوبي – شركة الحوار الثقافي 2004 ص13

[5] - http://www.bab.com/articles/full_article.cfm?id=7001

بمختلف مراحلها، طبع منها في العام الدراسي 84-1985م 85 مليون نسخة ، وقبل مرور عشرين عاما من قيام الجمهورية في إيران كان عدد ما يُنشر فيها يساوي ثلاثة أضعاف ما يُنشر في البلاد العربية مجتمعة ، وكلنا يعرف اليوم كيف أصبحت إيران في ثلاثين عاما .

ونفس الأمر فعلته ماليزيا ابتداء من عام 1981 ، فلما جاء الدكتور مهاتير محمد إلى الحكم وجدها بلدا زراعيا يعتمد على تصدير القصدير والمطاط ، وبعد تخليه عن الحكم عام 2001 تركها بلدا صناعيا متقدما ، يشارك القطاع الصناعي والخدمي بنسبة 90% ، وتصنع 80% من السيارات التي تجري في شوارعها ، ولا تزيد البطالة فيها عن 03% ، وأما متوسط دخل الفرد فزاد 7 مرات .. وأول شيء قام به مهاتير هو تغيير نظام التعليم ثم تصحيح الوضع الاجتماعي في ماليزيا[6] ، وهي اليوم تضع رجلها ضمن العشرة الأكثر تقدما ، وهناك دول عديدة في الطريق وجدت من يحسن تشخيص الداء ، كما وجدت من يحسن وصف الدواء ، ومن يقوم بتنفيذه .

وأعود مرة أخرى إلى حال الجزائر نموذجا وما يصدق عليها يصدق على الدول التي تشبهها ، تُرى ما الذي دهاها ، حتى تقضي خمسين عاما ولم تصل إلى ما وصلت إليه دول أخرى في نصف هذه المدة ، وأشير في البداية إلى أنني وقفت على البرامج المدرسية الجزائرية عن كثب تلميذا ملاحظا ، وأستاذا في التعليم الثانوي لأكثر من عشر سنوات ، ووليا لتلاميذ في مختلف المراحل الدراسية من الابتدائي إلى الأساسي والمتوسط إلى الجامعي وعدت أقارن برامجنا ببرامج الدول الصاعدة ، حيث اتخذت كلا من اليابان وإيران وألمانيا وماليزيا نماذج ، باعتبار أن صعودها كان متأخرا خصوصا ماليزيا وإيران ، وبعد تحر وجدت أن عوامل قتل أو صقل الموهبة في المدرسة الجزائرية لا تخرج عن ثلاث وهي إما البرامج الدراسية أو الإدارة أو المعلمون وهذا هو الثالوث المكون للمدرسة

أولا : البرامج الدراسية

إن حقيقة التنافس بين الدول يكمن في التنافس بين مدارسها ، والتنافس بين المدارس يرتكز على التنافس بين البرامج المدرسية ، والدول تلجأ بين الفينة والأخرى إلى مراجعة تلك البرامج إذا أحست بنوع من التخلف ويمكن حصر أهم العوامل القاتلة للموهبة في البرامج الدراسية الجزائرية فيما يلي :

1 – المشكلة اللغوية : يتلقى التلميذ الجزائري عددا من اللغات لا يتلقاها في مدرسة عمومية غيره في أي مكان من العالم ، حيث يتلقى العربية والأمازيغية والفرنسية والإنجليزية ، وهناك من يتلقى أيضا الألمانية أو الإسبانية ، والنتيجة أنه لا يتمكن من إتقان أي لغة منها ، يلم بكل شيء ولا يتقن أي شيء ، وبذلك فهو لا يستطيع أن يفهم العلوم ما دام لا يملك الوسيلة الأساسية لذلك وهي اللغة فالمنطقي في مسألة اللغات أن يتعلم الطفل لغة الأم حتى يتقنها ، وبها يمكنه أن يفهم اللغة

[6] - أحمد زويل – عصر العلم – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثامنة 2008 - ص 230

الثانية ، كما يفهم المواد الأخرى ، ففي اليابان يؤكد الخبراء على ضرورة تأسيس قوي للغة اليابانية وقدراتها داخل المدارس الابتدائية قبل التفكير في إدخال لغة أخرى . كما أن الفريق المعارض لمشروع إدخال اللغة الإنجليزية إلى المرحلة الابتدائية يشير أيضا إلى أهمية ترسيخ التراث الياباني الثقافي ذي الطابع الفريد، و آراء هذا الفريق تعتبر قوية في داخل المجتمع وتشكل صعوبة في المضي بالمشروع الى الامام[7].

وأما في ألمانيا فالسنوات الست من التعليم الابتدائي لا يتلقى فيها الطفل غير اللغة الألمانية ، وعندما يصل إلى السنة السابعة التي يكون فيها قد أتقن اللغة الأم تُضاف له اللغة الإنجليزية مثل اليابان تماما ، وفي إيران يتلقى التلاميذ العلم في جميع مراحل التعليم باللغة الفارسية ، ونفس الأمر في انجلترا حيث يكون التعليم كله بالإنجليزية.

إن الادعاء بأن تعليم الأطفال للغات في سن مبكرة هو الذي يمكنهم من الاطلاع على الثقافات والعلوم الأخرى هو قول عار من الصحة ، فالدول التي أحسنت التخطيط تمكن طلابها من ذلك عن طريق الترجمة .

إن هذا الكم من اللغات يشكل عبئا ثقيلا على التلميذ ، وقد يرسب التلميذ الموهوب في أحد المجالات بسبب اللغة التي لم يتقنها ليس بتقصير منه ، وإنما لأنه كُلف فوق طاقته ، كما قد تشغله تلك اللغة عن تنمية الموهبة التي رُزقها ، فتضمر وتتلاشى مع مرور الزمن ، واللغة ليست فكرا وإنما هي وسيلة يمكن تعلمها عند الحاجة إليها ، واللغات التي يدرسها تلاميذنا لا يحتاجون نهائيا إلى بعضها ، أو لا يحتاج البعض منهم إليها ، وإنه لمن الخطإ الجسيم أن تُفرض لغة أجنبية على جميع أفراد الشعب أيا كانت هذه اللغة .

وقد يستدل الكثير من الناس بالقول المشهور " من تعلم لغة قوم أمن شرهم" معتقدين أنه حديث شريف ، ويفهمهونه فهما غير صحيح ، مهملين كيفية ذلك التعلم ، الذي يجب أن يكون على مراحل لا دفعة واحدة ، مع أن القول ، وإن كان صحيحا في معناه فهوليس من أقوال النبي – صلى الله عليه وسلم –وحتى منظمة اليونسكو التي تدعو إلى تعلم اللغات ، فإنها تتنبه أولا إلى الاهتمام أكثر بثلاثة لغات ، فقد تكلم رئيس قسم اللغات في المنظمة جوزيف بوث عن الحاجة إلى ثلاثية اللغة – يجب علينا جميعا أن نتكلم لغتنا الأم ولغة دولة مجاورة ولغة عالمية[8]

لقد حاز الدكتور أحمد زويل جائزة نوبل في الكيمياء إضافة إلى جوائز عالمية أخرى لبحوثه التي قدمها باللغة الإنجليزية ، وهو عند وصوله لأمريكا لغرض البحث في الدكتوراه لا يكاد يعرف من الإنجليزية شيء ، فهو يصف حاله عندما ذهب إلى مشرفه يقول :..حينما ذهبت إليه في مكتبه أعرفه بنفسي ، ولم أتمكن من التعبير

---

[7] - عبد العزيز الهندي - http://www. sharqalawsat.com

[8] - جيسيكا ويليامز – 50 حقيقة ينبغي أن تغير العالم – الدار العربية للعلوم – مكتبة مدبولي –الطبعة الأولى 2005 ص 230 .

عما كنت أريد أن أقوله بصورة جيدة ، غير أنه أخبرني بأن حماسي كان واضحا وجليا من نبرات صوتي وإن كانت كلماتي الإنجليزية غير واضحة "[9].

إن المشكلة اللغوية لها جانبان جانب متعلق بعدم إتقان اللغة الذي يؤدي إلى الحرمان من الفهم الصحيح والتعبير عن الفهم بشكل صحيح ، وجانب متعلق باحتساب معامل اللغة الذي يكون معتبرا ، وكثيرا ما يتسبب في سقوط تلاميذ يتوفرون على بعض المواهب . ولعل الاقتراح السليم في هذا المجال ، أن تُخصص السنوات الست الأولى للدراسة بالعربية فقط ، وفي السنة السابعة تُفرض على التلميذ لغة أجنبية واحدة سواء الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرهما ، والأفضل أن تكون هناك خيارات وتنوع بحيث يختار التلميذ اللغة الثانية ، والاقتراح الذي عملت به وزارة التربية في سنوات ماضية فيه شيء من الإجحاف ، حيث تركت الاختيار للتلاميذ في السنة الرابعة بين الإنجليزية والفرنسية ، وأغلب التلاميذ اختاروا الفرنسية لا لأهميتها ، وإنما لأنهم سيكونون مطالبين بها لاحقا في الامتحانات الرسمية وهي أصعب من الإنجليزية ، فكان الأفضل في نظرهم أن يبدأوا بها من الأول ، ثم خرج القائمون على الاقتراح بأن الناس اختاروا الفرنسية ، ومن شأن التركيز على لغة ثانية واحدة كما تقدم أن يجعل التلميذ قادرا على الفهم والترجمة ببين اللغتين .

2– مشاكل الكثافة :

يتلقى التلميذ في المدرسة الابتدائية كما معتبرا من المواد جعلت المحفظة ذات وزن معتبر ، حتى أصبحنا نشاهد محافظ بعجلات ، ومحافظ لا تصمد على ظهر التلميذ أكثر من شهرين حتى تتقطع إربا إربا ، وهناك أطفال يشتكون من آلام في الظهر ، والكثير من المقررات التي تُفرض على التلاميذ قد لا يحتاجون إليها يوما ، فهناك مقررات تُدرك من الحياة ولا حاجة إلى إثقال كاهل التلميذ بها وصرفه عما هو أهم ، ومن ذلك التربية المدنية ، ودراسة الوسط ، وغيرهما .

ولا أدري ما الفائدة من تدريس التلاميذ الانتخابات وهم لا ينتخبون ، بل إننا نلاحظ اليوم أن الأميين هم أكثر الناس إقبالا على مراكز التصويت في الانتخابات ، وهذه المواد الثانوية تشغل التلميذ عن هضم المواد الأساسية التي يبني عليها قاعدته المعرفية .

إن إتقان القليل الأهم أفضل من الحشو الكثير الذي يؤثر على عملية الإدراك بجملتها ، ونحن نلاحظ أن التلاميذ الذين يأتوننا إلى الجامعة في السنة الأولى يأتوننا بمستويات ضعيفة في كل المجالات حتى المجال الأخلاقي ، ومع مرور الزمن ينتعش المستوى ولكن قل من يصل إلى المستوى المرضي به عند التخرج .

---

[9] - أحمد زويل – المرجع السابق - ص66 .

ولذلك فإن الاقتراح الصائب في نظرنا في هذا المجال هو أن تكون البرامج المفروضة على التلميذ متناسبة وضرورية لما سيدرسونه لاحقا ، ويكون ذلك بدراسة معمقة من خبراء محليين ، فالبرامج الدراسية في الولايات المتحدة يشترك في وضعها 600 خبير ويكلف نحو 600 مليون دولار وحجمه قد لا يصل إلى 50 صفحة ، في حين يشترك في وضع البرامج عندنا مجموعات قليلة بتكاليف قليلة وقد يصل حجم الكتاب الواحد 300 صفحة .

فالإنفاق العام على التعليم في البلاد العربية عموما لا يكاد يختلف عنه في الدول المتقدمة بل قد يجاوزه في أحيان كثيرة ، ومع ذلك لم يحقق النتائج المرجوة ، فالجزائر مثلا قُدر فيها الإنفاق العام على التعليم كنسبة من إجمال الإنفاق الحكومي في المدة بين 95 – 1997 ما يساوي 4.16% وفي الولايات المتحدة 4.14% وفي ألمانيا 6.9% وفي المملكة المتحدة 6.11% وهناك دول عربية أخرى جاوزت هذه الأرقام[10].

ثانيا : الإدارة المدرسية.

ليس المقصود بالإدارة المدرسية هي تلك الموجودة على مستوى المدارس والمؤسسات ، وإنما المقصود بها الإدارة على جميع المستويات من الابتدائي إلى مديرية التربية إلى الوزارة الوصية ، والإدارة هي التي تضع البرامج ، وهي التي توظف المعلمين وترسم لهم طرق التدريس ، وتصحح الأخطاء التي قد توجد بين الحين والآخر وهي مهمة شاقة . فليست كل إدارة تدرك بأن البرامج في حاجة إلى تغيير ، وليست كل إدارة تدرك ذلك تعرف كيف ترسم البدائل المطروحة ، وليست كل إدارة تقدير على تنفيذ ما رسمته ، فالكثير من الإدارات تستورد البرامج الجاهزة ولكن لا تنجح في تنفيذها .

يقول أحد الأمثال الشعبية الأجنبية ما معناه : "اعطني الشجاعة لتقدير بعض الأمور التي يجب تغييرها ، واعطني القوة على تحمل قبول تلك الأشياء التي لا يمكن تغييرها واعطني الحكمة للتمييز بين هذين الأمرين " ، فالإدارة المدرسية يجب أن تعرف مالذي يحتاج إلى تغيير أولا فإذا لم تكن هناك طرق للتعليم والتدريس تساعد على التعرف على الجوانب التي تحتاج إلى تغيير كي نفكر في البدائل المتاحة ، وما لم يكن هناك تفكير منطقي وواقعي يؤدي بنا إلى الرضا بقبول ما هو كائن ولا يحتاج إلى تغيير يذكر ، وما لم يكن هناك تفكيرب ناقد وقدرة متميزة على الاختيار لتساعدنا على التمييز بين الأشياء والتعرف على أوجه الكمال أو النقص فيها فما فائدة التعليم إذن[11]. ومن المشاكل المباشرة للإدارة المدرسية الجزائرية نجد ما يلي :

1 – مشاكل التوجيه :

---

[10] - رفعت العوضي – الدليل الإحصائي للعالم الإسلامي – دار السلام – المعهد العالمي للفكر الإسلامي الطبعة الأولى 2004 ص112

[11] - رمضان محمد القدافي – رعاية الموهوبين والمبدعين – المكتبة الجامعية – الإسكندرية 2002 ص 178.

من المشاكل الأساسية التي تقف عائقا أمام الموهوبين والتي لا يتفطن إليها الكثير من الآباء وحتى المربين سوء توجيه الطفل الموهوب إلى التخصص المناسب ، سواء كان ذلك بسبب حيرته هو في اختيار ما يناسبه ، أو بسبب التوجيه الذي يُفرض عليه من أبويه أو من المدرسة .

فشعور بعض المتفوقين و الموهوبين بالحيرة وعدم القدرة على الاختيار الصائب لمجال دراسة أو تخصص معين أو مهنة مرغوبة, وبالتالي فهم من أشد الناس حاجة إلى التوجيه ، وقد أكد كل من بيرلي وجنشفت (Birely &Genshaft, 1991) أن هؤلاء المتفوقين والموهوبين من أشد الناس حاجة إلى عملية الإرشاد والتوجيه الأكاديمي أو المهني، وبدون هذا الإرشاد قد يختار تخصصاً دراسياً , أو مجال عمل , قد يضطر إلى تغييره بعد فترة من الزمن قضاها في دراسة ذلك المجال أو العمل, والذي وجد فيه أنه لم يشبع طموحه ويحقق رغباته.

إن صعوبة الاختيار للمتفوق والموهوب لمجال الدراسة أو المهنة هو راجع لتعدد مواهبه وقدراته. فهو متميز الأداء في مختلف المجالات التي يدرسها نتيجة لارتفاع مستوى ذكائه أو نتيجة لتعدد مواهبه (Colangelo, 1991) و(Delisle, 1992). فالطفل المتفوق والموهوب لديه قدرات متنوعة للنجاح في المجالات المتعددة . ولو تم إجراء قياس لقدرات هؤلاء المتفوقين والموهوبين, نجد أن البعض منهم يحقق درجات عالية في مختلف المجالات, مما يزيد الأمور تعقيداً في عملية الاختيار للدراسة واختيار مجال محدد ، فالنجاح والحصول على تقديرات عالية ليس معياراً كافياً للتوجيه الأكاديمي والمهني ولكن يجب مراعاة الميول والرغبات والاهتمامات للطالب[12].

إن الكثير من التلاميذ الموهوبين كثيرا ما تتقطع بهم السبل ويقعون في الحيرة المدمرة ، عندما يجدون أنفسهم بين عدة خيارات متاحة ، وإذا اختار أحدهم ما لا يتناسب مع الواقع الذي هو فيه، أو مع حقيقة ما يرغب فيه فإنه يقضي على موهبته بنفسه .

وقد يكون مشكل التوجيه من الأسرة والإدارة المدرسية ، فكثيرا ما يرسم الآباء لأبنائهم ما يريدونه هم لا ما يناسب أبناءهم ، وما أحسن قول الإمام علي :" لا تجبروا أولادكم على أخلاقكم ، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم " ولقد رأينا هذه المشكلة بوضوح في المدرسة الجزائرية في مستويين ، الأول في التوجيه من المتوسط إلى الثانوي ، أو من الجدع المشترك في الثانوي إلى التخصص ، فشعبة العلوم الدقيقة مثلا تتطلب معدلا معتبرا في الفيزياء والرياضيات ، ويمنح القانون للعشرين بالمائة الأوائل الحق في اختيار الشعب التي يريدونها ، وعادة ما يختار هؤلاء وهم الأوائل شعبة العلوم الطبيعية لسهولتها النسبية ، وتماشيها مع الاختصاص الذي يريده الأولياء عادة (الطب والصيدلة) ، والحل عند الإدارة أن توجه إلى العلوم الدقيقة المجموعة من التلاميذ التي تحتل المركز الموالي ، والتي لا يسمح لها معدلها

[12] - نوره السليمان- مشاكل الموهوبين والمتفوقين ص 13 -14

بالاختيار ، ولذلك نجد الكثير من التلاميذ يتعمدون الخطأ في الفيزياء والرياضيات حتى لا يُدفع بهم إلى التكنولوجيا .

2 – المشاكل المتعلقة بالتأطير

ونعني بذلك المشاكل الخاصة بالأساتذة والإدارة المدرسية ، وتأمل معي على أي أساس يُختار الأساتذة والإداريون ، لقد درّست في التعليم الثانوي أكثر من عشر سنوات ، وقبل مباشرتي لذلك العمل أذكر أننا تلقينا دروسا مركزة في التربية العامة ، والتربية الخاصة ، حيث تعلمنا كيف يكون التعامل مع التلاميذ ، وأشعر أننا استفدنا من ذلك كثيرا ، على الرغم من أن التدريس في الثانوي من أسهل المراحل ، بسبب اقتراب التلاميذ من مرحلة الرشد ، وتمكنهم من وسائل التحصيل، في حين نجد بأن المرحلة الابتدائية هي الأهم والأصعب ، والكثير من المواهب توأد في هذه المرحلة بالذات حتى قبل ظهورها ، فالكثير من المعلمين في هذه المراحل لا علاقة لهم بفنيات التدريس ولا يعرفون بأن التدريس علم وفن ، وكثيرا ما ينتهي المعلم بتلاميذه إلى بغض المادة ، والمدرسة بشكل عام .

إن اكتشاف الموهبة ليس في متناول الجميع ، كما أن التعامل مع التلاميذ الموهوبين يتطلب أساتذة موهوبين ، ومما يدل على الأحوال الكارثية للمعلمين هو حالة الطوارىء التي يكون عليها الأستاذ غذاة زيارة المفتش ، والكثير من المعلمين يقدم الدرس الذي يحضره المفتش عدة مرات يحضر معه فيه بعض المعلمين ليقدموا له ملاحظاتهم ، وقد يضطر إلى إعفاء التلاميذ الضعاف من الحضور يوم الزيارة ، كما قد يستلف تلاميذ مجتهدين من أقسام أخرى ، والسؤال المحير هنا هو كيف يقضي مثل هذا الأستاذ حصصه طوال العام ؟

إن واجب المؤطرين سواء كانوا معلمين أو إدارة مدرسية لا تكاد تختلف عن واجب الأسرة في هذا المجال هو أن يوفروا للطفل الموهوب الشعور بالاستقلال ، وحرية الاختيار منذ الصغر ، واحترام الخيارات غير المضرة للطفل ولو كانت شاذة ، لأن الطفل الموهوب هو في العادة شخص غير عادي شاذ عن زملائه ، مع إيلائه الاهتمام المناسب ، فلا ينبغي الإهمال أو التظاهر بعدم الاكثرات ، بل الواجب هو التشجيع الذي ينمي روح البحث والاطلاع ، والموهبة بشكل عام ، وتوفير الفرص اللازمة لإبراز المهارات التي يتمتع بها الطفل ، مثل المسابقات ، والعروض داخل المدرسة وخارجها وكذا الخروج بالتلاميذ في زيارات إلى المعالم التي من شأنها أن تساعد على تنمية الموهبة مثل الورشات ، والمؤسسات التي عادة ما يؤمها الكبار كالجامعات والمستشفيات والمصانع ، والإدارات ، وعرضهم على المختصين من أجل المساعدة في تقديم الاقتراحات ، ويجب ألا ننسى بأن الحوافز المعنوية من الآباء و الأمهات ومن المعلمين ومن الإدارة المدرسية لها آثارها على الموهوب ، فعمليات التشجيع و إعطاؤه المزيد من الثقة مع شيوع جو الأمان بلاشك لها تأثيرها الإيجابي في صقل الموهبة و تنميتها، علماً بأنه قد يوجد موهوبون و مبدعون كانت لهم ظروف أسرية و مجتمعية قاسية و لكنهم ظهروا و لكن هذا ليس بقاعدة ، وأقترح في

هذا المجال تنصيب مختصين مهمتهم التفتيش على المواهب بين التلاميذ على غرار التفتيش على المواهب في الكرة وفي الغناء **ثالثا : المعلمـون**

يرجع جزء معتبر من أسباب قتل المواهب إلى المعلمين الذين لا يحسنون التعامل مع التلاميذ الموهوبين ، حيث تشير نتائج الكثير من التجارب التي أجريت على طبيعة العلاقة ما بين المدرسين وتلاميذهم من الموهوبين والمبدعين إلى قيام المعلمين غالبا بزجر التلميذ صاحب السلوك الابتكاري أو الإبداعي بدلا من تشجيعه وإثابته ، وقد اتضح من نتائج معظم تلك البحوث أن المعلمين كانوا غير قادرين على تحرير القدرات الابتكارية والإبداعية لدى تلاميذهم ، وإطلاقها من عقالها ، وذلك لأنهم كانوا يفتقرون إلى التفكير المبدع ، ومن تم فلم تتوفر لديهم الأسس النفسية اللازمة للقيام بتدعيم الابداع والميل إلى الابتكار وتعزيزهما[13]. ولذلك فإن المعلم الذي يمكن أن يؤدي وظيفة الصقل لا بد أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط لعل من أهمها ما يلي:

1 – أن يكون تأهيله العلمي من مستوى رفيع من حيث الدرجة ومستوى الأداء الأكاديمي ، ولا يقل تقديره عن جيد في دراسته الجامعية.

2 – أن يكون متابعا ومطالعا في مجال تخصصه على ما يستجد من أمور، والكثير من المعلمين عندنا لا يقرأ إلا ما يُفرض عليها قراءة شكلية لا أكثر.

3 – أن يحمل بالإضافة إلى المؤهل العلمي مؤهلا تربويا .

4 – أن تتوفر لديه مجموعة من العناصر والخصائص الشخصية مثل الثقة بالنفس والاتوان ومهارات الاتصال، وانفتاح الذهن والمرونة والقابلية للحوار يمكنه من أداء دور المعلم المرشد .

5 – أن يتم إخضاعه لبرنامج تدريبي متكامل[14].

إن من شأن هذه المواصفات المطلوب توفرها في المعلم أن تصنع منه مدرسا ماهرا ، فطرق التدريس لا تأتي لوحدها ، والمعلم بغير طرق ناجحة لإيصال المعلومة يعتبر معلما فاشلا مهما كان علمه ، ويشير بارنر في هذا الخصوص إلى أنه من الأمور التي يجب الاعتناء بها لتنمية التفوق والإبداع هي طرق التدريس فهي وحدها قادرة على إثارة الطلبة ، ودفعهم للقيام بعمليات التفكير المستقل واختيار صحة أفكارهم ، وتوصيل الأفكار إلى غيرهم من الناس[15] .

فإذا توفر في المعلم الشروط العلمية والأخلاقية ، والشروط المتعلقة بفنيات التدريس سهل عليه اكتشاف التلاميذ الموهوبين ، وتمييزهم عن غيرهم ، فيعرف كيف يتعامل مع هؤلاء ومع هؤلاء ، كما يؤدي به ذلك إلى معرفة مزيد من الحقائق عن الموهوبين منهم والتي يستحيل أن يتعرف عليها المعلم العادي ومثال ذلك أن أكثر

---

[13] - رمضان محمد القذافي – مرجع سابق – ص 182- 183

[14] - وفيق صوت مختار – سيكولوجية الأطفال الموهوبين – دار العلم والثقافة – الطبعة الأولى 2005 ص174 .

[15]- Parnes .S.J. Education and Creativity. Teachers College Record .vol.64.1963 .pp-331-339

المشاكل شيوعا لدى الأطفال الموهوبين تلك المتصلة بعدم الميل للتحصيل العلمي بالإضافة إلى التكيف وهي مشاكل في الأصل لها علاقة بعوامل خارجة عن المدرسة[16] .

ولا أنسى في هذا المجال الإشارة إلى أمرين مهمين يعرقلان عمل المعلم الجاد المكون وهما الاكتظاظ الذي تعرفه مدارسنا ، فالأعداد الكثيرة في الفصل الواحد لا تسمح للمعلم بالمتابعة المدروسة ، والأمر الثاني ، وهو المرتبات الهزيلة للمعلمين والتي جعلتهم يلتجئون إلى مهن موازية ، وذلك سيكون حتما على حساب مهمنة التدريس .

وفي الاخير أقول بأن المدرسة الجزائرية لم تواكب تطورات المجتمع ، ولا التحولات العالمية ، فما زال النظام هوهو ، والعقليات هي هي ، أي أن الناس الذين صنعوا مشاكل المدرسة هم الذين كلفوا بحلها ، وتحضرني هنا كلمة لإنشتاين " لن نستطيع أن نحل المشاكل المزمنة التي تواجهنا بنفس العقلية التي أوجدت تلك المشاكل " ، ويقول أيضا :" السذاجة أن تعمل نفس الأمور بنفس الطريقة ثن تتوقع نتائج مختلفة " ، فمازالت الإدارة تنظر إلى الأساتذة نفس النظرة القديمة التي تسوي بين الجميع على الرغم من التفاوت الكبير بينهم في الكفاءة والعطاء ، ومما اقترحه الدكتور أحمد زويل للنهوض بالتعليم في البلاد العربية رفع مرتب الأستاذ المُجد إلى ثلاثة أضعاف مرتب الأستاذ الخامل .

[16] - توما جورج خوري – الطفل الموهوب والطفل بطيء التعلم – مجد – الطبعة الأولى 2002 ص37-38

قائمة المراجع

−1http://www.elaph.com/ElaphWeb/NewsPapers/2005/8/83526.htm ?sectionarchive =NewsPapers

[2]−http://http://www.alsalhi.com/GiftedChild.htm

http://www.bab.com/articles/full_article.cfm?id=7001

[4] – أحمد زويل – عصر العلم – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثامنة 2008

[5]- ليلى صالح محمود – اختلاف المهارات والمواهب عند البشر – مجلة العربي- عدد 602 السنة 2008 http://www.moudir.com/vb/showthread.php?s-6

7– عبد العزيز الهندي . http://www. sharqalawsat.com

[8] – جيسيكا ويليامز – 50 حقيقة ينبغي أن تغير العالم – الدار العربية للعلوم – مكتبة مدبولي –الطبعة الأولى 2005

9– نوره السليمان– مشاكل الموهوبين والمتفوقين –كتاب إلكتروني -

10 – – رفعت العوضي – الدليل الإحصائي للعالم الإسلامي – دار السلام – المعهد العالمي للفكر الإسلامي الطبعة الأولى 2004

11– سعيد حسني العزة – تربية الموهوبين والمتفوقين – دار الثقافة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2000.

[12]– د. مل لقين – لكل عقل موهبة – تعريب د. سامر عبد المحسن أيوبي – شركة الحوار الثقافي 2004

13– رمضان محمد القدافي – رعاية الموهوبين والمبدعين – المكتبة الجامعية – الإسكندرية 2002

14 – وفيق صوت مختار – سيكولوجية الأطفال الموهوبين – دار العلم والثقافة – الطبعة الأولى 2005

15Parnes .S.J. Education and Creativity . Teachers College Record .vol.64.1963

16– توما جورج خوري – الطفل الموهوب والطفل بطيء التعلم – مجد – الطبعة الأولى 2002